

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب (الأطفال والنساء والأسرى نموذجاً)

من خلال السيرة النبوية

عطا الله بخيت حماد المعاينة*

محمد محمود أبو نيل**

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز جوانب الرحمة والإنسانية التي طبقها النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب، وخاصة مع الأطفال والنساء والأسرى، إذ برزت صورة جديدة من صور الرحمة لم تعدها البشرية من قبل، تستند إلى نصوص شرعية ثابتة طبقت في أرض الواقع وقررت أحكام خاصة بالأطفال والنساء، وأوصت بحمايتهم وصيانة دمائهم وكرامتهم وعدم تعريض النساء للاغتصاب والاهانة والإذلال، بل ألغى الإسلام حرية للمرأة ورفع قدرها بالزواج وإعطائها حرية الاختيار، وكذلك الأسرى من تقرير حقوقهم وحقن دمائهم والعفو عنهم وقبول الفدية منهم، وجعل دائرة القتل محدودة في مجرمي الحرب والمفسدين منهم، ويهدف البحث إلى إبراز هذه الصورة الرائعة للرد على جهالات الحاقدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت بالذات .

الكلمات الدالة: العقائد، النبوات والسمعيات.

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن.

** قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن.

تاريخ قبول البحث: 2009/3/23.

تاريخ تقديم البحث: 2008/10/26.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤنة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2009.

Aspects of Mercy in War as Practiced by the Prophet Mohammad (PBUH) towards Women, children, Captives as Evidenced through the Prophetic Tradition

Atallah Bakeet Al.Maayta

Mohammed Mahmoud Abu Lail

Abstract

This research aims to highlight the aspects of Mercy and humanity that the Prophet Muhammad (peace be upon Him) Practiced Wars; towards captives, women, and children, where visions of mercy arise, of the sort that humanity have never experienced before. These views depend on clear stable texts that have been applied in the field of reality. These texts instruct exclusive rulings for children and women. They order to protect their souls and dignities. This is in addition to, not to rape woman, nor humiliate, nor offend them. In contrary Islam opens the way for woman and promotes her level, by marriage and the freedom of choice. This is the same for the captives in terms of giving them their rights, saving their souls, forgiving them and accepting ransom from them. However, this paper aims to highlight this wonderful vision to gainsay the misconceptions that are made by the enemies of Prophet Muhammad peace be upon Him, especially in the contemporary time.

Keywords: Mercy, Prophetic Tradition.

مقدمة

يواجه المسلمون اليوم هجمة حاقدة تحاول النيل من شخص النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام مزامنة مع آلة الحرب التي تشن على بقاع متعددة من العالم الإسلامي تهدف إلى زعزعة ثقة المسلمين بدينهم، ووقف انتشار الإسلام السريع في أطراف الدنيا المترامية، وقد اتخذوا اللطعن في هذا الدين شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم للوصول إلى مرادهم الخبيث وحاولوا التغطية على جرائمهم بتشويه صورة هذا النبي الكريم والإسلام بهذه الموجات الإعلامية الهادرة والأفلام التي تنتج في هوليوود وأنحاء متعددة من العالم، واستخدام صور الكاريكاتير الأخيرة، ولكن سهامهم ارتدت عليهم بهذه الهبة الإسلامية الكبرى التي انحازت لنبيها عليه الصلاة والسلام.

وللمنافةة عن شخص هذا النبي الكريم أحببت بيان رحمة النبوة وأخلاق الرسالة في شخصه عليه الصلاة والسلام في سيادين الحرب مع الأطفال والنساء والأسرى، وذلك لأن الناظر في حروب العالم القديم والحديث يجد أن وحشية الحرب تتوجه نحو المدنيين بالدرجة الأولى، وهم غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ، ولكي تجبر أمة أو دولة على الاستسلام يتوجه القتل الجماعي لهؤلاء المستضعفين الذين لا يحملون سلاحاً، فلما أرادت أمريكا مثلاً حسم الحرب العالمية الثانية ضربت هيروشيما وناجازاكي، وفي ظرف دقائق معدودة كان عدد القتلى من المدنيين يفوق ربع مليون قتيل وهكذا في حروبهم المعاصرة.

ولما أراد اليهود الاستيلاء على فلسطين كانت المذابح في دير ياسين وغيرها موجهة للأطفال والنساء والشيوخ نوعاً من أنواع الرعب، لتهجير الناس وإخلاء الأرض لهؤلاء الغاصبين الجدد.

وهكذا حدث في حروب الروس الأخيرة في أفغانستان وحروب أمريكا في العراق وأفغانستان، أما الرسول الخاتم فقد كانت سيرته الطاهرة تقوم على أساس حقن دماء الناس وترغيبهم في دخول الإسلام، والحفاظ على الأطفال والنساء وكبار السن وأن لا يتعرض إليهم أحد بسوء أو إهانة أو قتل أو اغتصاب.

وقد جعلت الشريعة الإسلامية لهذه الفئات أحكاماً ربانية لا يصح تجاوزها. أو العمل بخلافها، وأعلن النبي عليه الصلاة والسلام حرمة دماء هذه الفئات وصيانة كرامتها عندما وجه جيوش الفتح لإنقاذ البشرية من ظلماتها، روى مسلم في صحيحه عن سليمان ابن بريده عن أبيه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أمير على جيش أو سرية أوصاه خاصته بنقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)⁽¹⁾.

وإني لأرجو أن يسهم هذا البحث في إضافة جديدة عمادها كتاب الله المنزل والأحاديث الواردة في الصحاح وكتب السيرة والتاريخ الموثقة لدى جمهور المسلمين الأعظم وهم أهل السنة والجماعة، علماً نسهم في الذب عن هذا النبي الخاتم أمام هجمات الجهلة والحاقدين من أعداء هذه الأمة من خلال إبراز الجوانب الإنسانية التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها نبراساً للحق في كل زمان ومكان.

خطة البحث

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وتحت كل مبحث مطالب وهي على النحو الآتي:
المبحث الأول: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأطفال في الحرب إنسانياً وفيه المطالب الآتية:

الأول: حرمة دمائهم

الثاني: تحديد سن القتال الجائز لهم

الثالث: النهي عن قتل الأطفال - مظاهر من الرحمة بهم-

المبحث الثاني: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المرأة في ميادين الحرب إنسانياً:-

الأول: إعفاؤها من القتال وجوبا- وتكليفها بما يناسب طبيعتها في الحرب

الثاني: حماية مشاعرها ومواساتها

الثالث: حمايتها في نفسها وعرضها وصون دمه

المبحث الثالث: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الأسرى إنسانياً وقد اشتمل على تمهيد تضمن

تعريف الأسير وعلى مطلبين وهما:

الأول مظاهر الرحمة بالأسرى وتقرير حقوقهم

وقد اشتمل على المسائل الآتية:

- 1- عدم ضرب الأسير وإذلاله
- 2- إطعام الأسرى والوصية بهم
- 3- قبول الشفاعة في الأسرى
- 4- إعطاء حرية الاختيار للأسير
- 5- المرأة الأسيرة وصور من تكرمها
- 6- أسر الملوك وطريقته في التعامل معهم
- 7- العفو الجماعي عن الأسرى

الثاني: خلاصة الأحكام المستقاة من سيرته صلى الله عليه وسلم في الأسرى

أ- القتل ب- الفداء ج- المنّ (العفو)

المبحث الأول: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأطفال في الحرب إنسانياً

المطلب الأول: حرمة دمائهم

يتعرض الأطفال في الحروب إما للقتل أو الإهانة أو التسخير، ولو تتبعنا مسيرة التاريخ البشري لوجدنا أن أبرز ممالك العصر القديم كانت تقوم بالإعدام الجماعي للأطفال تحت طائلة الخوف منهم على الملك وغيره وقد قص الله جل جلاله خبر فرعون مع بني إسرائيل فقال سبحانه ممتناً على بني إسرائيل: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) {البقرة: 49}.

فانظر إلى هذا الظلم والفجور بقتل الأطفال من أجل أوهام السحرة والكهنة والمشعوذين، ومن أجل أحقاد قديمة لدى ملوك جبابرة، ورغبة في القربى من هؤلاء الطواغيت يغرورهم بالإبادة والقتل، وبسبب إجرامهم وقتلهم لهؤلاء الأبرياء يهين الله تعالى من يقتلهم ويرى في بيوتهم موافقة للقدر السابق كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) {القصص: 8}.

وفي الجاهلية التي عاصرها النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يقتلون البنات لأنهن حسب مفاهيم الجاهلية يجلبن العار والفقر، قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ {8} بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ {9} التكوير).

وقال تعالى مصوراً حالهم عند ولادة الأنثى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {58} يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {59}) النحل.

وأضاف القرآن الكريم أنهم يقتلون أطفالهم عموماً تبعاً لما يزينه لهم الشيطان أو أهواؤهم الضالة فقال تعالى أيضاً في محكم تنزيله: (وَكَذَٰلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُزْودَهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) {الأنعام: 137}.

وروى البخاري عن المغيرة بن شعبة إن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) (2)

وقد ربط النبي عليه الصلاة والسلام قتل الأبناء بالشرك بالله وكبائر أخرى، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك). قلت ثم أي؟ قال: (أن تزني بحليلة جارك). قال ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَكَانُوا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزِنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {68}) {الفرقان} (3).

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاينة، محمد محمود أبو ليل

وقد بعث الهادي البشير عليه الصلاة والسلام لإنقاذ البشرية جمعاء بأطرافها كافة وصيانة كرامة الإنسان سواء كان طفلاً أو امرأة أو شيخاً كبيراً أو أسيراً أو غير ذلك، وكلفه الله تعالى بهذه المهمة السامية التي فرض من أجلها القتال لاستنقاذ الأطفال والنساء من الظلم الذي يحيق بهن فقال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا {75}) النساء.

وقال تعالى: (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا {98}) النساء

ومنع الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام ومن معه من الصحابة من القتال بمكة لوجود هذه الفئة التي تخفي إيمانها وحبها لله ورسوله وللإسلام فقال تعالى: (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجْلُهُ وَلَوْ أَنَّ رِجَالَ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مُعَرَّةً بَغِيرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَى الَّذِينَ لَعَنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {الفتح 25}).

فالجهد الذي فرضه الله تعالى على المؤمنين كان من أبرز أهدافه تخليص هذه الفئات المستضعفة في المجتمعات حتى تتاح لهم حرية اختيار العقيدة الصحيحة، فأكرم بهذا القتال وهذه الحرب الشريفة ذات المقاصد الراقية.

إن النساء والأطفال في هذا العصر هم الفئات المستهدفة في الحروب فهم عرضة للاغتصاب الوحشي الجماعي كما شاهد العالم بشاعة حروب هذا العصر، فقد احتجز الصرب أكثر من مئة وخمسين ألفاً من النساء المسلمات الحرائر العفيفات في معسكرات الاعتقال للاغتصاب والتسلية، كما كانوا يطلقون عليها، وهكذا في كل حروبهم المعاصرة تجد المرأة سلعة رخيصة عرضة للاغتصاب أو الاعتقال وتنتقل بين قارات العالم لاستخدامها في الدعارة وجلب المال عن هذا الطريق.

وكذلك الأطفال ليس أمامهم إلا القتل والإعاقات ومن بقي حياً فهو عرضة لاختطافه ونقله إلى خارج بلده لتتصيره، وزرع عداوة الإسلام في قلبه، أو استخدامهم جنسياً أو للسخرة أو العمل الشاق - هذه هي الصورة المؤلمة التي تعيشها البشرية الآن.

وسنعرض صورة مضادة لهذا الواقع الأليم من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، في تعامله مع الأطفال وكيف عاشت البشرية في تلك الحقبة المضيئة من حياتها.

المطلب الثاني: تحديد سن القتال الجائز لهم

استحدث الرسول صلى الله عليه وسلم أنظمة جديدة تبرز فيها أسمى معاني الرحمة في استبقاء الأطفال وتركهم يعيشون حياة ملؤها السعادة والهناء في أمن وأمان، ثم يربون على العقيدة السليمة وتنمو فيهم مشاعر الرجولة وحب الجهاد حتى إذا ما أينعت فيهم هذه المعاني وأصبحت أعمارهم وقدراتهم تتيح لهم الجهاد أن لهم نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام بذلك ومما يؤكد هذه الحقائق ما رواه البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: (استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون نيفاً وستين، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين)⁽⁴⁾.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه)⁽⁵⁾.

قال ابن حبان: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يريد اعتراض عير قريش و معه المهاجرون والأنصار، وضرب بعسكره قبل أن يخرج من المدينة ببئر أبي عبيدة وعرض أصحابه، ورد من استصغر منهم، فكان ممن رد في ذلك اليوم من المسلمين عبد الله ابن عمر ورافع بن خديج والبراء بن عازب وزيد بن ثابت وأسيد بن ظهير، وكان عمير بن أبي وقاص يستتر في ذلك اليوم لئلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فيستصغرنه فيردني! لعل الله أن يرزقني الشهادة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فردده، فبكى بكاءً شديداً، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل ببئر شهيداً)⁽⁶⁾.

إن هذا المنع يعبر عن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم ورغبته في الحفاظ على هؤلاء الأطفال من القتل، وحتى يكونوا هم عدة المستقبل، فأكرم بها من أخلاقيات رائعة لم تعرفها البشرية من قبل.

المطلب الثالث: النهي عن قتل الأطفال - مظاهر من الرحمة بهم -

لم تشهد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم أية أحداث قتل فيها أطفال، بل الثابت أن الغزوات التي كان فيها سبي أو ذرية كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقيهم ولا يقتلهم، وهذا مسلك إنساني كريم لم تعهده البشرية في حروبها؛ لأن الدافع الرئيسي لهذه الغزوات هو إنقاذ الناس من الظلم والجور وإدخالهم في دين الله بكرامة وعزة.

والشواهد التالية تدل على أصالة هذا المنهج فكان القتل والعقوبة تقع على البالغ القادر على القتال ولم تكن العقوبة تعمم على المذنب والبريء، كما نشاهد في حروب هذا العصر، فقد روى ابن حبان عن عطية القرظي قال: كنت فيمن حكم فيهم سعد بن معاذ فشكوا في (أي من الشك هل هو بالغ أم طفل) أمّن

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاينة، محمد محمود أبو ليل

الذرية أنا أم من المقاتلة؟ فنظروا إلى عائتي فلم يجدوها نبتت فألقيت في الذرية ولم أقتل (قال أبو حاتم: لما جعل المصطفى صلى الله عليه وسلم الفرق بين من يقتل وبين من يستبقى من السبي الإنبات، ثم أمر بقتل من أنبت صح أن العلة فيه أن من أنبت كان بالغاً يجوز أن يقاتل ولما صح ما وصفت من العلة كان فيها الدليل على أن الصبيان والنساء من دور الحرب إذا قاتلوا قوتلوا إذ العلة التي من أجلها رفع عنهم القتل عدمت فيهم وهي مجانبة القتال. (قال شعيب الارناؤوط: إسناده صحيح (7)

ولعل الحادثة الوحيدة التي رويت في السيرة عن قتل امرأة في الحرب، ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان) (8).

وتبع هذا الحدث الذي شاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه النهي المطلق عن قتل النساء والأطفال إذا لم يكونوا محاربين تبعاً لما عقب به ابن حبان - رحمه الله - في النص السابق.

وقد أورد الدارمي حديثاً في السيرة يدل على مدى الرحمة التي امتلأت بها قلوب الصحابة - رضوان الله عليهم - تجاه الأطفال في ساحات الحرب، فعن أبي عبد الرحمن الحبلي: (أن أبا أيوب كان في جيش ففرق بين الصبيان وبين أمهاتهم فأمرهم بكون فجعل يرد الصبي إلى أمه ويقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحياء يوم القيامة) (9).

وعندما تراجعت مفاهيم بعض الفرق الضالة عن منهجه صلى الله عليه وسلم، وبرز قرن الخوارج الخبيث في عهد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأصبح من اعتقادهم قتل أطفال مخالفيهم وتكفيرهم، وزادت فتنتهم، بعث نجدة بن عامر الحواري لابن عباس يسأله عن قتل الأطفال في حروب النبي صلى الله عليه وسلم، ورد عليه ابن عباس هذا الرد، حيث روى مسلم في صحيحه عن يزيد بن هرمز: (أن نجدة) تنسب إليه فرقة النجدات من الخوارج البغاة) كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال فقال ابن عباس: لولا أن أكنم علماً ما كتبت إليه، كتب إليه نجدة أما بعد: فأخبرني هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقض يمين اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة (يعطين من الغنيمة)، وأما بسهم فلم يضرب لهن، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل الصبيان فلا تقتل الصبيان، وكتبت تسألني متى ينقض يمين اليتيم؟ فلعمرى إن الرجل لتتبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتيم، وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنا كنا لنقول: هو لنا فأبى علينا قومنا ذاك (لولا أن أكنم علماً ما كتبت إليه) يعني إلى نجدة الحر وري من الخوارج معناه أن ابن عباس يكره نجدة لبدعته وهي كونه من الخوارج الذين يرمقون من الدين

مروق السهم من الرمية ولكن لما سأله عن العلم لم يمكنه كتمه فاضطر إلى جوابه وقال لولا أن أكنتم علما ما كتبت إليه أي لولا أنني إذا تركت الكتابة أصير كاتما للعلم مستحقا لوعيد كاتميه لما كتبت إليه⁽¹⁰⁾

عن يزيد بن هرمز (أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خلال بمثل حديث سليمان بن بلال غير أن في حديث حاتم وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل الصبيان فلا تقتل الصبيان إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الصبي الذي قتل، وزاد إسحاق في حديثه عن حاتم وتميز المؤمن فقتل الكافر وتدع المؤمن⁽¹¹⁾).

وهكذا يبدو لنا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأطفال في الحروب ورحمته بهم، ونحن نشاهد هذه الصورة المزرية في حروب العصر التي وقودها وضحاياها الأطفال والنساء والشيوخ العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم فأين هي مبادئ جنيف المزعومة في حماية المدنيين وأين أثرها إذا كان الذي يحارب قد نزعت من قلبه الرحمة وقد امتلأ قلبه حقدا على كل من يخالفه.

لقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم جهدا كبيرا في تعبئة قلوب أصحابه بأخلاقيات الجهاد وأسس فيها معاني الرحمة والحنان كما سبق وعرضنا، فالمسألة ليست مبادئ مكتوبة إنما الأصل هو تسليح المقاتل بهذه الأخلاقيات في ميدان الحرب وأثناء المباشرة للقتال، ولهذا أحب الناس الإسلام ورسخت أقدامه في الأرض التي فتحها وأصبح محمد عليه الصلاة والسلام له الحب الأسمى وهو القدوة المثل في كل أرض الإسلام والإنسان الذي يعيش عليها قارن هذا مع كراهية شعوب الأرض للغزاة الجدد الذين يحرقون الأخضر واليابس ويشيعون الخراب والفساد بكل صورته وأشكاله ثم بعد ذلك يزعمون أنهم يحررون الإنسانية ويجلبون لها الديمقراطية والحرية.

المبحث الثاني: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المرأة في ميادين الحرب إنسانيا

لقد ارتقت مكانة المرأة في الإسلام حتى أصبح لها التأثير القوي في أغلب مجالات الحياة أما ومربية ومجاهدة وعابدة وزاهدة وذهبت صورة الجاهلية عن المرأة أنها سبب للعار والفقر، ولمعت أسماء كثيرة من النساء في تاريخ الإسلام في كل مواقعه، ففي بيعة العقبة الثانية شهد هذا الاجتماع الهام في تاريخ الإسلام امرأتان فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحابنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلك القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نساءهم نسبية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع قال فاجتمعنا بالشعب فنظرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا⁽¹²⁾

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاينة، محمد محمود أبو ليل

وقد ارتفع قدر المرأة أيضا عندما أُتيح لها في إطار هذا الدين الإبداع، وعندما سادت مفاهيم الفضيلة والرفعة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم استنارت المدينة بمقدمه، فرفع عن المرأة الظلم والهوان، وقد سطرته هذه المرأة ملاحم البطولة التي نحب عرضها للرد على شبهات أرباب الافتراء والجهل الذين لا يعرفون سماحة هذا الدين وإعلاء قدر المرأة كأصل بناء وخير في المجتمعات وليست وسيلة للشهوات والرذائل كما نرى في هذا العصر.

المطلب الأول: إعفاؤها من القتال وجوبا- وتكليفها بما يناسب طبيعتها في الحرب

أتاح النبي صلى الله عليه وسلم لمجموعة من النسوة المشاركة في غزواته يداوين الجرحى ويسقين الرجال الماء ويصنعن الطعام، فعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى)⁽¹³⁾.

وكانت رفيدة رضي الله عنها تحتسب معالجة المرضى فقد روى البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن محمود بن لبيد قال: لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقتل حولوه عند امرأة يقال لها: رفيدة وكانت تداوي الجرحى فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح كيف أصبحت؟ فيخبره⁽¹⁴⁾.

وكان عليه الصلاة والسلام يصطحب النساء في الغزو كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو يأمر سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى)⁽¹⁵⁾.

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم محبوب عليه بحجة له وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول (انثرها لأبي طلحة) قال ويشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإيهما لمشمريتان أرى خدم سوقهما تتقرآن القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثا)⁽¹⁶⁾.

وروى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وسأله الناس: بأي شيء دوي جرح النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال ما بقي أحد أعلم به مني كان علي يجيء بترسه فيه ماء وفاطمة تغسل عن وجهه الدم فأخذ حصير فأحرق فحشي به جرحه⁽¹⁷⁾.

وقال ابن هشام: (وقانت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري إن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول له: دخلت على أم عمارة، فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك؟ فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعهم سقاء فيه ماء، فانتبهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقممت أبأشر القتال وأدب عنه بالسيف وأرمي عنه بالقوس، حتى خلصت الجراح إلي، قالت: فرأيت في عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمنة أقماه الله، لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولكن فقدت ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان⁽¹⁸⁾.

وقد قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إحدى النساء المجاهدات في العطاء على زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فقد روى البخاري: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً (نوع من القماش) بين نساء من نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك يريدون أم كلثوم بنت علي فقال عمر أم سليط أحق. وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر فإنها كانت تزفر (تسقي) لنا القرب يوم أحد⁽¹⁹⁾).

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها فراها أبو طلحة فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما هذا الخنجر؟) قالت اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك⁽²⁰⁾).

المطلب الثاني: حماية مشاعرها ومواساتها

كان عليه الصلاة والسلام يواسي مجتمع المدينة الذي كان يحبه محبة أعظم من محبة الأبناء والأزواج والأمهات والآباء وكانت الحرب تجر خلفها الآلام والأحزان والمشاعر المؤلمة في إطار أصحابه وفي إطار أعدائه، كما سنعرض بعض الشواهد الدالة على ذلك.

ففي معركة أحد وعندما انتصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة لقيته حمزة بننت جحش رضي الله عنها فعنى لها أخاها عبد الله فاستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت فقال عليه الصلاة والسلام: إن زوج المرأة منها ليمكان) وروى ابن ماجه هذا الحديث بإسناد ضعيف- عن عبد الله بن عمر عن إبراهيم بن

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاطبة، محمد محمود أبو نيل
محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حمزة بنت جحش: أنه قيل لها قتل أخوك. فقالت رحمه الله وإنا لله
وإنا إليه راجعون. قالوا قتل زوجك. قالت واحزنناه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن للزوج من
المرأة لشعبة ما هي لشيء (21)

واحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاعر صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ووصفت
عظيم خلقه ورحمته قبل زواجه بها فقالت : (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلي، قتل
زوجي وأخي وأبي، فما زال يعتذر ويقول: إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من
نفسي) (22).

وتزوج صفية رضي الله عنها وعاشت في كنفه معزة مكرمة حتى أنه هجر زوجته زينب بنت
جحش لأجلها ذا الحجة ومحرمًا وبعضاً من صفر؛ لأنها عبرتها باليهودية (23)
وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث رضي الله عنها- وأعتق سبائاً قومها في
غزوة بني المصطلق.

المطلب الثالث: حمايتها في نفسها وعرضها وصون دمها

سبق وذكرنا النهي العام من النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والأطفال والشيوخ، وعندما
رأى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة مقتولة في إحدى غزواته غضب ونهى عن قتل النساء
والصبيان (24).

وفي ساحة المعركة نجد أن الصحابة يكفون أيديهم عن قتل النساء حتى ولو كانت تقاثل، قال أبو
دجانة رضي الله عنه يوم أحد: (رأيت أنساناً يمشي الناس خمشاً شديداً فصمدت له، فلما حملت السيف
ولول فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب امرأة) (25)

ولم يؤثر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل النساء إلا في حادتين مشهورتين فقط، وهذا يدل
على المستوى الأخلاقي الرفيع الذي ارتقت فيه نفوس صحابته والتزامهم الشديد بأمره.

روى أبو داود بإسناد حسن: عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها- قالت:
(لم يقتل من نسايتهم (أي بني قريظة) إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي وتضحك ظهراً
وبطناً، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت أنا والله، قلت لها: ويلك مالك، قالت: أقتل. ولم؟ قالت:
لحدث أحدثه، وهو قتلها خلاد بن سويد رضي الله عنه) (26).

أما المرأة الثانية التي اختلف هل قتلها النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فهي زينب بنت الحرث من يهود خيبر وقد أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة (إن يهودية أنت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجئ بها فقيل ألا تقتلها قال: لا) (27).

وروى ابن الهيثمي في مجمع الزوائد عن عروة قال: (لما فتح الله عز وجل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل من قتل منهم، أهدت زينب بنت الحرث اليهودية وهي بنت أخي مرحب شاة مصلية وسمته فيها وأكثر في الكتف والذراع حيث أخبرت أنهما أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه بشر ابن البراء بن المعرور أخو بني سلمه، قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول الكتف والذراع وانتهش منها، وتناول بشر عظما آخر فانتهش منه، فلما ادغم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أدغم بشر ما في فيه (أي لفظه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارفعوا أيديكم فإن كتف الشاة تخبرني أنني قد بغيت فيها" فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، ولم يمنعني أن ألفظها إلا أنني كرهت أن أنغص طعمك، فلما أكلت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسي، ورجوت أن لا تكون رغمتها وفيها بغي، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيالسة وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي مات فيه) (قال ابن حجر: وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن) (28).

أما قتلها، فقد نص البخاري فيما سبق أنه لم يقتلها، إلا أن ابن سعد في الطبقات قال: (قتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عفا عنها بسبب موت بشر بن البراء) (29).

وقال ابن حجر: (إن النبي صلى الله عليه وسلم تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصاً - قلت: ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت وإنما أخر قتلها حتى مات بشر لأنه بموته تحقق القصاص بشرطه) (30).

المبحث الثالث: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمرى إنسانيا

تعريف الأسير: هو الاخذ والمقيد والمسجون وجمعه أسراء وأسارى (31) (وهو المأخوذ بالحرب) (32)

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم والعالم تنقسمه معتقدات ووثنيات شتى، تهيم فيها قوى الظلم على هذا الإنسان الذي كان يأمس الحاجة إلى بزوغ فجر جديد يريحه من عسف قياصرة الرومان وكأسرة الفرس والأديان المحرفة والوثنيات الظالمة في عقائدها وتصوراتها وشرائعها ومساكن حياتها.

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعايطة، محمد محمود أبو ليل

ولعل جوانب العناء البشري كانت تشمل حياة الإنسان كلها وكانت صور الظلم والاعتداء على أمن هذا الإنسان تتم من خلال الحروب والنزاعات التي تخلق من أخلاقيات تحترم وجود الإنسان وأمنه وخاصة حقوق الأسرى في الحروب وسوف نبين فيما يأتي المرتبة العالية التي أسس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد العدل والحق في التعامل مع الأسرى.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة بالأسرى وتقرير حقوقهم

في خضم هذا الواقع الأليم الذي كانت تحياه البشرية في حروب العرب والروم والفرس واليهود قبل الإسلام التبنق نور جديد هدفه الأسمى (إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)⁽³³⁾.

إن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كان طابعها الأسمى هو الحفاظ على الإنسان و الرغبة النبوية في دخول الناس في دين الله ولم تكن هذه الغزوات تهدف إلى القتل والتدمير والإذلال أو النهب والسلب كما هي السمة الغالبة على حروب الأولين والآخرين في هذا العصر وهذا المنهج الحضاري والنقلة الجديدة في حياة البشر لا يرقى إلى مستواها الأسمى إلا نبي مرسل مكلف بتطبيق شريعة الله على هذه البشرية فهو الرحمة المهداة التي قال عنها ربنا جل جلاله في محكم تنزيله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء (107).

وكل حياته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومع مخالفه كانت رحمة تسمو فوق الأحقاد والضغائن والإحن حتى وهو يضرب وجهه الشريف ويسيل الدم منه عليه الصلاة والسلام يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم)⁽³⁴⁾ (وعندما رجع من الطائف وجاءه ملك الجبال وقال: أن شئت أطبقت عليهم الأخشبين قال: أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحده الله)⁽³⁵⁾.

بهذه الروح الحانية قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوس الشرك وانتصر عليهم، وكان عامة أحواله الصفح والرحمة وهذا ما سنلاحظه في هذه الوقائع المؤثرة من سيرته صلى الله عليه وسلم وهديه في الأسرى.

وتظهر هذه الروح في المسائل الآتية:

1- عدم ضرب الأسير وإذلاله

ذكر ابن الأثير قصة سهيل بن عمرو يوم بدر فقال: (أسر يوم بدر كافراً وكان أعلم الشفة (أي فيها شق) فقال عمر: يا رسول الله انزع ثيبتيه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً فقال: "دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمده عليه" فكان ذلك المقام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتجت مكة لما رأت قريش من

ارتداد العرب واختفى عتاب بن أسيد الأموي أمير مكة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: (يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما) ⁽³⁶⁾.

2- إطعام الأسرى والوصية بهم: فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى خيراً متبعاً التوجيه القرآني في قوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) {8} إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً {9}. (الإنسان)

وقد طبق هذا الأمر واقعاً مشهوداً، فقد روى ابن إسحاق عن نبيه ابن وهب قال: (كان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير، فقال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار بأسرني فقال: شد يدك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تقديه منك، قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بإياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا تفحني بها، قال: فاستحي فأردها على أحدهم، فإردها علي ما يمسها) ⁽³⁷⁾.

وروى مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين: (كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق قال: يا محمد فأتاه فقال: (ما شأنك؟) فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال (إعظما لذلك) (أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف) ثم انصرف عنه فناداه فقال يا محمد يا محمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً فرجع إليه فقال: (ما شأنك؟) قال: إني مسلم، قال: (لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح) ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد يا محمد فأتاه فقال (ما شأنك؟) قال إني جائع فأطعمني وظمآن فأسقيني قال (هذه حاجتك) ففدى بالرجلين) ⁽³⁸⁾.

3- قبول الشفاعة في الأسرى

وهذه الشفاعة ترجع إلى تقدير مواقف سابقة للأسرى ووقوفهم مع المسلمين في مكة المكرمة. قال: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (لما كان يوم بدر وجئ بالأسارى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تقولون في هؤلاء الأسارى، فذكر في الحديث قصة، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب علق، قال عبد الله: فقلت يا رسول الله: إلا سهيل بن البيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فما رأيتي في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إلا سهيل بن البيضاء) ⁽³⁹⁾.

4- إعطاء حرية الاختيار للأسير وإخلاء سبيله إذا أسلم

فلم يؤثر أن أسيراً أكره على تغيير معتقده، بل كان يترك له الاختيار المطلق في ذلك، فعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (أتى بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان، فأمر به أن يقتل، فصاح يا معشر الأنصار: أقتل وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلّى سبيله، ثم قال إن منكم من أكله إلى إيمانه منهم فرات بن حيان)⁽⁴⁰⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما عندك يا ثمامة). فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علي شاكراً، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت). فتركه حتى كان الغد فقال: (ما عندك يا ثمامة). فقال: ما قلت لك إن تنعم تنعم علي شاكراً، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي ما قلت لك فقال: (أطلقوا ثمامة)، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فيشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم)⁽⁴¹⁾.

5- المرأة الأسيرة وصور من تكريمها: لقد أبرز النبي صلى الله عليه وسلم صورة رائعة من صور صيانة المرأة في الحروب مغايرة تماماً لممارسات الأمم السابقة للإسلام حيث كانت عرضة للاغتصاب والإهانة والاسترقاق، وهذه الممارسات عادت إلى الوجود في حروب العصر الحديث فرأينا امتهاتها واغتصابها في حروب البوسنة والهرسك والعراق وفلسطين وأفغانستان، ما لا يحتاج إلى توثيق.

أما الرسول الإنسان عليه الصلاة والسلام، فقد نهى عن الاعتداء على أعراض مخالفه من المشركين كما هي صورة الحروب السابقة والمعاصرة، فقد أكرم عمة عدي بن حاتم الطائي عندما رآها في السبي ومن عليها وأعطاه العطايا وأمرها باللاحق بعدي وكان ذلك سبباً في عودة عدي بن حاتم مسلماً وأصبح له شأن في فتوح الإسلام الأولى.

روى الإمام أحمد عن عدي بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بعقرب فاخذوا عمتي وناسا قال فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصموا له قلت (الكلام لعمته) يا رسول الله نأى الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن علي من الله عليك قال من وافدك قالت عدي بن حاتم قال الذي فر من الله ورسوله قالت فمن علي قالت فلما رجع ورجل إلى جنبه نرى أنه علي قال سليه حملانا قال فسألته فأمر لها قالت فأنتني فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها قالت انتته راغبا أو راهبا فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه قال فأنتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي فذكر قريهم من النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر فقال له يا عدي بن حاتم ما أفرك أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله ما أفرك أن يقال الله أكبر فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل قال فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى ثم سأله فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل ارضخ امرؤ بصاع ببعض صاع بقبضة ببعض قبضة قال شعبة وأكثر علمي انه قال بتمرة بشق تمره وان أحدكم لاقى الله عز وجل فقاتل ما أقول ألم أجعلك سميعا بصيرا ألم أجعل لك مالا وولدا فماذا قدمت فينظر من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئا فما يتقى النار إلا بوجهه فاتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوه فيكلمة لينة أنى لا أخشى عليكم الفاقة لينصركم الله تعالى وليعطيتكم أو ليفتحن لكم حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب أو أكثر مما تخاف السرقة على ظعنيتها قال محمد بن جعفر ثناء شعبة مالا أحصيه وقرأته عليه

قال شعيب الأرناؤوط: بعضه صحيح وفي هذا الإسناد عباد بن حبيش لم يرو عنه غير سماك بن حرب ولم يوثقه غير ابن حبان⁽⁴²⁾. وقال ابن الهيثمي: رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة.⁽⁴³⁾

وتزوج رسول الله صفيه بنت حبي بن أخطب حين وقعت في السبي في غزوة خيبر في سهم دحيه الكلبي رضي الله عنه. (فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أعطيت دحيه صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، قال: دعوه بها - فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: فاعتقها النبي وتزوجها)⁽⁴⁴⁾

ورفعها إلى مستوى أمهات المؤمنين وهي مازالت قريه العهد باليهودية.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر، وإنسي لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنها أمكم).

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاطة، محمد محمود أبو ليل

فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنا صلى الله عليه وسلم إذ عثرت الناقة فقلت المرأة، فنزل أو رأى المدينة قال (أيون تائبون عابدون لربنا حامدون)⁽⁴⁵⁾.

وقالت: (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلى قتل زوجي وأخي وأبي فما زال يعتذر ويقول: إن أباك علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي)⁽⁴⁶⁾

ولم تكن حروبه صلى الله عليه وسلم مثل حروب هذا العصر تشهد همجية الاعتداء على النساء واغتصابهن، بل كانت هذه الممارسة أبعد ما تكون عن مجتمع يقوده رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الطهر والعفة والبعد عن كل ما يمس دينهم وطاعتهم وتقواهم، فلذلك أباح لهم النبي صلى الله عليه وسلم في مرتين زواج المتعة عند الحاجة إليه ثم حرمه النبي صلى الله عليه وسلم تحريماً قطعياً في آخر غزواته.

6- أسر الملوك وطريقته عليه الصلاة والسلام في التعامل معهم

لم يكن من مقاصد هذا النبي الكريم إذلال ملك أو رئيس قبيلة أو انتزاع ملك أحد أو سلب أموالهم أو سبي نسائهم إنما كان القصد الأسمى الذي يبدو من مجموع سيرته هو الرغبة الكبرى في إسلام الناس ودخولهم في دين الله طوعية وحبا وقناعة لا إكراها وجبرا، وهذا هو سر استقرار هذا الدين وامتداده في مشارق الأرض ومغاربها على الرغم من الأهوال التي نزلت على أتباعه في كل مكان وهذه شواهد تدل على أصالة هذا المنهج ومنها ما رواه الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا إلى دومة الجندل فقال: انطلقوا فإنكم تجدون أكيدر دومة خارجا يقتتص الصيد فخذوه أخذوا فانطلقوا فوجدوه كما قال لهم فأخذوه وتحصن أهل المدينة وأشرفوا على المسلمين يكلمونهم قال يقول رجل من المسلمين لبعض من أشرف: أذكرك الله هل تجدون محمدا في كتابكم قال: لا قال آخر إلى جنبه نجاه في كتابنا يشبه قرشيان يخطره قلم من الشيطان فقال الرجل: يا أبا بكر أليس قد كفر هؤلاء؟ قال: بلى وأنتم ستكفرون فلما رجع الجيش وخرج مسيلمة فتنبا قال رجل لأبي بكر: أما تذكر قولك ونحن بدومة الجندل وأنتم سوف تكفرون ذاك أمر مسيلمة قال لا ذاك في آخر الزمان هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص⁽⁴⁷⁾

ومن شواهد هذا المنهج وأصالته في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه الإمام البخاري عن عدي بن حاتم حيث قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال (يا عدي هل رأيت الحيرة). قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال (فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله - قلت فيما بيني وبين نفسي فإين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى). قلت

كسرى بن هرمز؟ قال (كسرى بن هرمز ولئن طالبت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعت إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وولدا وأفضل عليك؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم). قال عدي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (اتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة). قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالبت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁸⁾

7- العفو الجماعي عن الأسرى

هذا هو المنهج المهيمن على غزواته صلى الله عليه وسلم - الميل لجانب العفو و المسارعة إلى تضميد جروح مخالفيه رغبة في إسلامهم وإيمانهم بعيدا عن التمتع العاجل بسباياهم و أموالهم وأرضهم.

ومن الشواهد على هذا - ما حدث في غزوة بني المصطلق لما سمع الناس بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرة بنت الحارث قام الناس برد الأسرى والغنائم لأصحابها، وتبع ذلك إسلام أبيها الحارث بن ضرار وقومه وهذا هو الهدف الأسمى الذي سعى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي غزوة حنين والطائف عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ستة آلاف أسير من النساء والأطفال والرجال فقد روى البخاري عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه إن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال: لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (معي من ترون، وأحب الحديث إلي أصدقاه فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبي وإما المال وقد كنت استأثيت بكم) (رجاء إن يسلموا) وكان أنظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قتل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: - فإننا نختار سبينا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: ((أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا ثائبين، وإنني قد رأيت إن أرد إليهم سبيهم. فمن أحب منكم إن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم إن يكون على حظه حتى نعطيهم إياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل)). فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إننا لا ندري من أذن في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم. ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. هذا الذي بلغني عن سبي هوازن))⁽⁴⁹⁾ وفي رواية لأبي داود قال: عليه الصلاة والسلام (ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم)⁽⁵⁰⁾

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعايطة، محمد محمود أبو ليل

وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم فمن مسك بشئ من هذا الفئ فان له علينا به ست فرائض أول شئ يفينه الله علينا) (51)

المطلب الثاني: خلاصة الأحكام المستقاة من سيرته في الأسرى

إن النقلة الحضارية التي أحدثها الإسلام في مسائل الأسرى تعبر عن أصالته ورحمته في الحروب، وقد كانت غزوة بدر الأولى التي انتصر فيها المسلمون على جحافل الشرك سبباً في إبراز أحكام ربانية طبقتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحت قواعد شرعية للتعامل مع الأسرى.

إن بدايات الحرب مع الشرك لابد فيها من الإثخان وتأديب هذه الجموع المشركة ومن خلفها فأمر بالإثخان بهم قتلاً فقال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تَرْيَدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) الأنفال 67

وقال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأً بَعْدَ وَهْمٍ فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد4).

فاستقرت أحكام الأسرى على ثلاثة أحوال إما القتل وإما الفداء وإما المن

1- القتل

قتل النبي عليه الصلاة والسلام بعض المشركين يوم بدر ممن لا يرجى إسلامه أو قام بجرائم سابقة في أثناء الحرب مثل مقيس بن صبابه الذي أسلم وقتل صحابياً ثم ارتد، كما سبق ذكره من قبل، وعن ابن عباس قال: (قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة صبرا قتل النضر بن الحارث من بني عبد الدار وقتل طعيمة بن عدي من بني نوفل وقتل عقبة بن أبي معيط) (52).

كما استبقى النبي صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو وصدق فيه يقينه فيما بعد فقد روى الحاكم عن الحسن بن محمد قال: قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم خطيباً في قومه أبداً فقال: دعه فلعله أن يسرك يوماً، قال سفيان: فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم نفر أهل مكة فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة فقال: من كان محمد إلهه فإن محمداً قد مات والله حي لا يموت (53).

والحقيقة المستقاة من واقع السيرة أن قتل الأسرى كان في نطاق ضيق ومحدود لمن ارتكبوا جرائم حرب أو ارتدوا بعد إسلامهم كما مر في الشواهد السابقة، وإن بقاء هذا الحكم يعبر عن الحاجة إليه لردع المجرمين كما يعبر عن سماحة البالغة ارتقت بأخلاقيات عالية لم تلحق بها حضارة قديمة أو حديثة بل إننا

نشاهد الآن الكثير من مجرمي الحروب يلقى عليهم القبض ويحاكمون بالسجن المؤبد مثل مجرمي الحرب اليوغسلاف وغيرهم ، وإن هذه الأحكام باقية لمثل هذه الحالات والله اعلم.

ب- الفداء

وهذا يعبر عن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبته في استبقاء الرجال مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الأنفال 70

وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفداء من المشركين في موقعة بدر وقد عرض عليه قتلهم ولكنه مال إلى أخذ الفداء واستبقائهم أملاً في إسلامهم، يعبر عن هذا ما رواه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأسارى؟) فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ترى يا ابن الخطاب؟) قلت: لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تنابكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) (شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ثَرْيُوتًا عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {67} لَوْلَا كِتَابُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ} {68} فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {69} الأنفال) فأحل الله الغنيمة لهم⁽⁵⁴⁾.

قال ابن القيم رحمه الله معلقا على رأي أبي بكر ورأي عمر رضي الله عنهما: (وقد تكلم الناس، في أي الرأيين كان أصوب، فرجحت طائفة، قول عمر لهذا الحديث، ورجحت طائفة قول أبي بكر، لاستقرار الأمر عليه، وموافقتها للكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم، ولموافقة الرحمة التي غلبت الغضب، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء، ولموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أولاً

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاينة، محمد محمود أبو ليل
ولموافقة الله له آخراً حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصديق، فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله
آخر، جانب الرحمة على جانب العقوبة.

قالوا: وأما بكاء النبي صلى الله عليه وسلم، فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض
الدنيا، ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبوبكر، وإن أراده بعض الصحابة، فالفتنة كانت تعم
ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم العسكر يوم حنين يقول أحدهم: (لن تغلب اليوم من قلة)،
وبإعجاب كثرتهم لمن أعجبته منهم، فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر،
والله أعلم⁽⁵⁵⁾.

وقد أصبح الفداء فيما بعد قاعدة أساسية في شريعة الإسلام وهذه بعض الصور التي تعبر عن هذا
الأمر فقد روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت
زينب في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص،
قالت: فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها
وتردوا عليها الذي لها" فقالوا نعم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل
زينب إليه وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال "كونا ببطن يأجج
(موضع على ثمانية أميال من مكة) حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتيا بها⁽⁵⁶⁾

كما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفداء من عمه العباس، وكان الفداء أيضا يتم بمبادلة الأسرى كما
حدث لعمر بن أبي سفيان الذي أسر في بدر وقيل لأبيه: اقد عمرا فقال: لا أجمع علي دمي ومالي يقتل
ابني حنظلة وأندي عمرا فتركه ولم يفكه، ثم إن سعد بن النعمان الأنصاري خرج إلى مكة معتمرا فأخذه
أبو سفيان وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمرا ابنه، فمشى بنو
عمر بن عوف إلى النبي عليه الصلاة والسلام فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان ففادوا به سعدا⁽⁵⁷⁾.

ج- المن (العفو)

من النبي عليه الصلاة والسلام على أسراه أفرادا وجماعات، ومن ذلك منه على ثمانية بن أثال سيد
بني حنيفة عندما أسره وأطلق سراحه بدون أخذ الفداء، فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن
أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي عليه الصلاة والسلام فقال: (ما عندك يا
ثمامة). فقال عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال
فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد فقال: (ما عندك يا ثمامة). فقال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على
شاكرك فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي ما قلت لك فقال: (أطلقوا ثمامة

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فيشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁸⁾.

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبي هوازن وتقيف وكان عددهم يزيد على ستة آلاف شخص كما روى البخاري: (زعم عروة بن الزبير أن مروان والمصور ابن مخزومة أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقاه فاخترأوا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيت بكم). وكان أنظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإننا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: (أما بعد، فإن إخوانكم قد جاعونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيهم إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل). فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إننا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم). فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. هذا الذي بلغني عن سبي هوازن⁽⁵⁹⁾.

ومن النبي عليه الصلاة والسلام وعفا عن قريش كلها يوم فتح مكة وهم الذين ناصبوه العداء وعذبوه هو وأصحابه وأخرجوه من مكة وتمالؤا على قتله في دار الندوة وغزوه في المدينة ثلاث سنات في محاولة يائسة لاستئصال دعوته، وقتلوا عمه حمزة بن عبدالمطلب ومثلوا به وفعلوا الكثير من الكيد والمكر والغدر، ولكن سمت روح النبوة فتعالت على كل هذا يوم فتح مكة في موقف تسامحي قل تكراره في التاريخ حيث وقف وقال: يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية كلها، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أبي فاعل فيكم قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء⁽⁶⁰⁾.

وخلاصة القول في موضوع الأسرى كما قال الإمام الطبري: (إن الله تعالى جعل الخيار في المن والفداء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى القائمين من بعده بأمر الأمة لأن الرسول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاطبة، محمد محمود أبو ليل

صلى الله عليه وسلم كذلك كان يفعل في من صار أسيراً في يده فيقتل بعضاً ويفادي بعضاً ويمن على بعض مثل يوم بدر فقتل عقبة بن أبي معيط، وقد أتى به أسيراً وقتل بني قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا في يده سلماً وهو على فدائهم والمن عليهم قادر، وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ومن على ثمامة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتاً من سيرته في أهل الحرب⁽⁶¹⁾

ويرى الإمام الطحاوي أن المسلمين قد أخذوا الغنائم قبل ذلك في سرية عبد الله بن جحش وأن الإثخان قد حدث فعلاً في يوم بدر، وأنهم أخذوا الفداء من القوم يوم بدر قبل أن يؤمروا بذلك، فتاب الله عليهم وعائبهم عليه ثم أحله لهم وجعله لهم غنيمة⁽⁶²⁾.

ملحق

لتوضيح قضيتين هامتين قد يترتب على تركهما شبهات باطلة

1- قد يرد على القارئ شبهة من تأثير السم بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى له (والله يعصمك من الناس) (المائدة 67) وللرد على هذه الشبهة قال العلامة ابن القيم رحمه الله: - أن ضمان الله له العصمة لا ينافي تعاطيه لأسبابها فإن هذا الضمان له من ربه تبارك وتعالى لا يناقض احتراسه من الناس ولا ينافيه كما أن إخبار الله سبحانه له بأنه يظهر دينه على الدين كله ويعليه لا يناقض أمره بالقتال وإعداد العدة والقوة ورباط الخيل والأخذ بالجد والاحتراس من عدوه ومحاربه بأنواع الحرب والتورية فكان إذا أراد الغزوة ورى بغيرها وذلك لأن هذا إخبار من الله سبحانه عن عاقبة حاله ومآله بما يتعاطاه من الأسباب التي جعلها الله مفضية إلى ذلك مقتضية له وهو صلى الله عليه وسلم أعلم بربه وأتبع لأمره من أن يعطل الأسباب التي جعلها الله له بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر وإظهار دينه وغلبته لعدوه وهذا كما أنه سبحانه ضمن له حياته حتى يبلغ رسالاته ويظهر دينه وهو يتعاطى أسباب الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن⁽⁶³⁾

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله عن الشاة المسمومة: (وأخبر نراعتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أودع فيه من السم وكان قد نهش منه نهشة وكان السم فيه أكثر لأنهم كانوا يفهمون أنه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع فلم يضره السم الذي حصل في باطنه بإذن الله عز وجل حتى انقضى أجله صلى الله عليه وسلم فذكر أنه وجد حينئذ من ألم ذلك السم الذي كان في تلك الأكلة صلى الله عليه وسلم)⁽⁶⁴⁾.

فتبين بذلك أن هذا لا ينافي العصمة التي وعدها الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فما فارق رسول الله هذه الدنيا إلا وقد بلغ رسالته وأنتم الله نعمته عليه وعلى أمته فقال الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة 3).

2- زواج النبي صلى الله عليه وسلم من نساء خصومه في مواطن الحرب التي أشاعها المستشرقون وجعلوها تهمة في حق الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام مثل زواجه من جوهرية بنت الحارث وصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنهما كما سبق وبينت ذلك، وللرد على هذه الشبهة نقول إن البشرية على مر تاريخها القديم والحديث لم تشهد سموا أخلاقياً في التعامل مع المرأة وصيانتها في الحروب مثلما شهدته في عهد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده، حيث صانتها من الاعتصاب والإذلال الذي عرفته البشرية قديماً وحديثاً، حيث تزوج رسول الله هؤلاء النسوة لمقاصد شرعية عظيمة كما قالت عائشة رضي الله عنها عند زواج النبي بجوهرية بنت الحارث رضي الله عنها: فتسامع تعني الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جوهرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق⁽⁶⁵⁾

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال هؤلاء لاختار الأبقار وصغيرات السن ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج امرأة بكراً إلا عائشة رضي الله عنها، روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة قالت أخشى أن يثني علي فقيل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وجوه المسلمين؟ قالت انظروا له فقال كيف تجدنيك؟ قالت بخير إن انقيت قال فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكح بكراً غيرك ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خلاقه فقالت دخل ابن عباس فأثنى علي ووددت أني كنت نسيا منسيا⁽⁶⁶⁾.

لقد خص الله الأنبياء والرسل عليهم السلام بخصائص البشر الذين يأكلون ويشربون ويتزوجون وكان الأنبياء قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجون أعداداً أكبر من النساء، فلمإذا عشت أبصار المستشرقون عن التعرض لهم، ونحن لا نقبل لأحد أن يتعرض لأي منهم، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام كان عنده مئة امرأة، فقد روى ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حلف سليمان بن داود: ليطوفن على مئة امرأة كل امرأة منهن تحمل غلاماً يجاهد في سبيل الله قال: فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة نصف غلام) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو قال: إن شاء الله كان كما قال)⁽⁶⁷⁾.

إن المقاييس المادية والإلحادية التي وضعها المستشرقون لا يجب أن نلزمنا في عرض سيرة الأنبياء والرسل وخاصة سيرة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام المبرأ من كل عيب ونقيصة تعترى الناس العاديين، لأنه النبي المعصوم الذي تحققت فيه الكمالات البشرية التي أهلته لأن يكون كما قال عنه الله جل جلاله: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبَيِّنَ الْحَقَّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) التوبة 33

الخاتمة والتتبع

هذه هي إنسانية نبي الرحمة في التعامل مع الأطفال والنساء والأسرى في مواطن الحرب، وهذه هي تفصيلات الرحمة فيه نعرض هذا ونحن نشاهد صور الإهانة والإذلال والقتل للأطفال والنساء والأسرى في هذا العصر، حيث يقاد الأسرى بالسلاسل كالكلاب، وحيث يعرى الأسرى وتنتشر صورهم على العالم وحيث تداس أعراضهم ويعتدي على الرجال وتغتصب النساء ويقتل الأسرى بدون ذنب إلا من أجل مزاجية من يسيطر عليهم.

إننا نقدم هذه الصورة الرائعة للعالم الذي يدعي التحضر وهو يجهل كرامة أخيه الإنسان ويستثله ويمر فيه أبسط معاني الحياة، إننا نشعر بخطر داهم على المسلمين وعلى البشرية جمعاء من جيوش الغزاة الجدد الذين يفقدون أدنى معاني احترام الإنسان في معتقده وأمنه وشرفه، ويتباهون في تقديم حرية الجنس كرسالة جاؤوا من وراء البحار لنشرها، لقد فقدوا أدنى مراتب القيم التي عرفتها البشرية

كما نقدم هذه الصورة الرائعة لبعض المسلمين الذين تاهت بهم السبل فجعلوا ممارسات القتل والتفجير في بلدانهم وأهلبيهم جهاداً وقرى إلى الله عندما غابت عنهم معالم الهدى النبوي الرحيم فتمزق شمل الأمة وغدت شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون.

وقد أبرز هذا البحث النتائج الآتية:

1- إن كل غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كانت غايتها الكبرى هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ولذلك خلت هذه الغزوات من المذابح والمظالم والاعتصاف وسلب الأموال وإزهاق أرواح الأطفال وظلم الأسرى وغيرها.

2- أبرزت شريعته الخاتمة أحكاما جديدة تخص الأطفال في زمن الحرب طبقت في ميادين القتال لم تعدها البشرية من قبل وهي (أي البشرية) عن الوصول إلى مستواها في وقتنا الحاضر أشد بعدا في ظل سيادة مناهج الظلم والاستبداد التي تقود العالم المعاصر وما حروب الغرب والصهاينة الأخيرة إلا دليل واضح على ذلك.

3- أبرز هذا البحث جوانب الرحمة الكبرى التي خصت بها المرأة عموما من رفع شأنها والسماح لها في المشاركة البناءة في مختلف جوانب الحياة وفي مواطن الحرب بما يناسب طبيعتها بدون تبذل أو اتحراف.

4- وفي المقابل أيضا احترمت النبي صلى الله عليه وسلم مشاعر نساء مخالفيه وأعدائه وأفرد شرعه الحنيف لهن أحكاما خاصة تعالج أحوال السبايا وتصون كرامتهن، مثل: العفو عنهن وإرجاعهن

إلى أقوامهم أو تخييرهم ومنح الحرية لهم بالزواج والمكاتبة وغيرها من مسالك تعبر عن أن حروبه صلى الله عليه ما هي إلا أحداثا مناسبة لتطبيق هذه الأحكام لتبقى تشريعا واقعيا لأمته والعالم أجمع في كل زمان ومكان.

5- أبرزت حروب النبي صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته ارتقاء جوانب الرحمة والإنسانية في تعامله مع الأسرى إن كانوا من المننيين أو المحاربين وطبق في أرض الواقع هذا السمو الأخلاقي وبقي تشريعا خالدا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسلوكا تشهد له وقائع التاريخ حتى عصرنا الحاضر بل إن الكثير من الأوروبيين أسلموا بسبب ممارسات المسلمين في هذا المجال كما حدث للمفكر الفرنسي روجيه جارودي الذي أسره المجاهدون الجزائريون وصانوا حياته من القتل حتى أكرمه الله بالإسلام.

6- من أهم نتائج هذا البحث ضرورة القيام بنشر هذا المنهج والدعوة إليه وتوضيحه في عالمنا المعاصر بعيدا عن ممارسات بعض الجماعات الغالية وأخطائها القاتلة التي شوهت صورة الإسلام ودعوته بل إنها ارتدت في جهادها المزعوم لقتل أبناء المسلمين وتفجير فداقتهم ومؤسسات بلدانهم مما تسبب في إزهاق الأرواح وإشاعة الخوف والفتن في صفوف المسلمين.

الهوامش

1- مسلم بن الحجاج النيسابوري (توفي 261هـ-875م) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ك الجهاد والسير باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها- ح رقم 1731

2- محمد بن إسماعيل البخاري (توفي 256هـ-870م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، (1407هـ-ط3)- كالاستقراض وأداء الديون- باب ما ينهى عنه إضاعة المال- رقم 2277

3- البخاري- ك التفسير باب سورة الفرقان- رقم 4483

4- البخاري - ك المغازي- باب عدة أصحاب بدر- رقم 3739

5- البخاري - ك المغازي - باب غزوة الخندق - رقم 3871

6- محمد بن حبان البستي (توفي 354هـ-965م) السيرة النبوية، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، (1407هـ-ط1) ج1 ص157 محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن

الأثير (توفي 630هـ-1232م) الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي (1400هـ-ط3) ج2- ص 86.

7- محمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الارناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1414هـ-ط2) ك السير - باب الخروج وكيفية الجهاد- ج11- ص109 رقم 4788

8- البخاري-ك الجهاد والسير باب قتل النساء في الحرب 2852.

9- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (توفي 255هـ-869م) سنن الإمام الدارمي، تحقيق فواز زمرلي وخالد العلمي، بيروت، دار الكتاب العربي (1407هـ-ط1) ك السير باب النهي عن التفريق بين الوالدة وولدها-رقم 2479- إسناده جيد.

10- مسلم بن الحجاج النيسابوري (توفي 261هـ-875م) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ك الجهاد والسير -باب جواز قتل النساء- رقم 1745.

11- مسلم - ك الجهاد والسير -باب النساء الغازيات - رقم 1812.

12- الامام أحمد بن حنبل - المسند ج3/ ص460/ رقم 15839 قال الشيخ شعيب الارناؤوط حديث قوي وهذا إسناد حسن -وانظر ابن هشام، السيرة -ج2-ص 70.

13- مسلم- ك الجهاد-باب النساء الغازيات - رقم 1812.

14- البخاري - الأدب المفرد -ك أهل الذمة - باب كيف أصبحت -ح رقم 1129- قال الشيخ الألباني- صحيح- وانظر أبو الزبيع سليمان بن معدي الأندلسي (634هـ-1234م) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق د.محمد كمال الدين، بيروت، عالم الكتب، (1997م-ط1) ج2- ص135.

15- مسلم- ك الجهاد-باب غزوة النساء- رقم 1810.

16- البخاري- ك المغازي- باب إذ همت طائفتان منكم - رقم 3837.

17- البخاري - ك الوضوء-باب غسل المرأة أباهما من الدم- رقم 240.

18- ابن هشام، السيرة -ج3-ص31.

19- البخاري- ك الجهاد والسير -باب حمل النساء القرب- رقم 2725.

20- مسلم- ك الجهاد - باب غزوة النساء مع الرجال- رقم 1809.

21- ابن الأثير، الكامل- ج2-ص113-ورواه ابن ماجه - السفن -ك الجنائز -باب ما جاء في البكاء

على الميت -ح رقم 1509-قال ابن حجر: في إسناده عبدا لله بن عمر العمري وهو ضعيف -

- وانظر احمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (توفي 458هـ-1065م)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، (1414هـ) ك الجنائز باب الرغبة في إن يتعزى بما أمر الله من الصبر - رقم 6924.
- 22- ابن حبان محمد بن حبان البستي - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - تحقيق - شعيب الأرنؤوط - الرسالة بيروت ط2 - 1993 - كتاب المزارعة - ح رقم 5199 - وانظر أبي الحسن احمد بن يحيى البلاذري، (توفي 279هـ-892م) فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، (1412هـ) ص38.
- 23- أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (توفي 463هـ-1070م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، (1415هـ- ط1) ج1 - ص598 - والأثر رواه أبو داود في السنن وضعفه الألباني - ح رقم 4602 - وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: - حسن لغيره - ح رقم 2835.
- 24- سبق تخريجه، انظر ص8 حاشية 11.
- 25- ابن هشام، السيرة - ج3 - ص22.
- 26- أبو داود السنن ك الجهاد باب قتل النساء ح رقم 2671.
- 27- البخاري - ك الهبة وفضلها - باب قبول الهدية من المشركين - رقم 2474 - ومسلم - ك السلام - باب السم - رقم 2190.
- 28- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (توفي 807هـ-1405م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الفكر، (1412هـ) ك المغازي - باب غزوة خيبر - رقم 10209 قال الهيثمي في مجمع الزوائد 145/6 رواه الطبراني في المعجم الكبير - ح رقم 7453 - والمعجم الأوسط - ح رقم 7939 ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف.
- 29- ابن سعد - الطبقات - ج2 - ص107.
- 30- احمد بن علي بن حجر العسقلاني (توفي 852هـ-1457م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، (1379م) ج7 - ص497 .
- 31- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (توفي 817هـ)، القاموس المحيط ص437 وانظر أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني، (توفي 503هـ)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار الفكر، ص12.

- 32- المعجم الوسيط ج2 ص17.
- 33- عبارات للقائد ربيعي بن عامر قالها أمام رستم - لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، البداية، ج7-ص39.
- 34- البخاري- ك المغازي - باب ليس لك من الأمر شيء - ح رقم 3842- ومسلم - ك الجهاد والسير - باب غزوة احد - ح رقم 1791 - وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج2- ص 30 .
- 35- البخاري- ك بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم آمين - ج رقم 3059- ومسلم - ك الجهاد والسير - باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين - ح رقم 1795- وانظر ابن هشام، السيرة، ج2-ص30.
- 36- ابن الأثير، أسد الغابة، ج1-ص490- وانظر المباركفوري - الرحيق المختوم- ص 209- المكتبة العصرية - لبنان 2006.
- 37- ابن هشام، السيرة النبوية، ج2-ص189- وانظر الرحيق المختوم - ص203.
- 38- مسلم - ك النذر - باب لا وفاء لنذر في معصية - رقم 1641.
- 39- الترمذي - ك السير - باب ما جاء بالمشورة رقم 1714- قال الشيخ الألباني:-- ضعيف.
- 40- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (توفي 774هـ 1372م)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكاتب العربي، (1386هـ ط2) ج 18 - ص46- وابن كثير، البداية والنهاية ج4-ص5.
- 41- البخاري- ك المغازي - باب وفد بني حنيفة رقم 4114 ومسلم ك الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسهم رقم 1760.
- 42- المسند- ج4/378- ح رقم 19400.
- 43- الهيثمي - مجمع الزوائد - ج5- ص603.
- 44- البخاري- ك الصلاة - باب ما يذكر في الفخذ رقم 364 - ومسلم - ك الجهاد والسير - باب غزوة خيبر رقم 1365.
- 45- البخاري- ك اللباس - باب إرداف المرأة خلف الرجل ذي محرم- رقم 5623.
- 46- البلاذري، فتوح البلدان - ص 38.
- 47- الحاكم- المستدرک- ك الفتن والملاحم- ح رقم 8585- قال الامام الذهبي: حديث صحيح وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص72- وابن هشام، السيرة، ج4- ص113- والاصابة، ابن حجر، ج1-ص244 .

- 48- البخاري، ك المناقب، باب علامات النبوة، ح رقم 3400- وانظر ابن الاثير، الكامل، ج 2- ص 195- وابن هشام، ج 4- ص 154- وأسد الغابة، ج 1- ص 395.
- 49- صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب قوله تعالى (ويوم حنين -) رقم الحديث 4064.
- 50- سنن أبي داود، كتاب الجهاد - باب فداء الأسرى ح- رقم 2694.
- 51- أبو داود، السنن ك الجهاد باب في فداء الأسير بالمال- حديث رقم 2694.
- 52- سليمان بن احمد الطبراني (توفي 360هـ - 971م)، المعجم الأوسط، تحقيق طاروق الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، (1414هـ-) رقم 3801- ج 4- ص 135- وانظر البيهقي - السنن الكبرى - ك الوديعه - باب ما جاء في قتل الإمام من رأى منهم - ح رقم 12634.
- 53- محمد عبد الله الحاكم (توفي)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (1411هـ - ط1)، كتاب معرفة الصحابة- باب مناقب سهيل بن عمرو رقم 5228 .
- 54- مسلم - ك الجهاد والسير- باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر - رقم 1763.
- 55- شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية (توفي 751هـ - 1350م)، زاد المعاد في هدي خير العباد بيروت، دار ابن حزم، (1420 ط1)، ص 405 (هذه الطبعة جزء واحد كامل).
- 56- أبو داود كتاب الجهاد- باب في فداء الأسير بالمال- رقم 2692.
- 57- ابن الاثير، الكامل - ج 2- ص 93.
- 58- البخاري- ك المغازي- باب وفد بني حنيفة- رقم 4114- ومسلم - ك الجهاد والسير - باب ربط الأسير وحبسه - ح رقم 1764.
- 59- البخاري- ك المغازي - باب قوله تعالى (ويوم حنين)- رقم 4060.
- 60- ابن كثير، البداية والنهاية- ج 4- ص 301 .
- 61- محمد بن جرير الطبري (توفي 310هـ - 923م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، (1388هـ - ط 3)، ج 11- ص 305 وانظر أبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير (توفي 774هـ - 1372م)، تحقيق د. حسين زهران، بيروت، دار الفكر، (1418هـ - ط1)، ج 2- ص 386

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في ميادين الحرب عطا الله بخيت المعاينة، محمد محمود أبو نيل

62- احمد بن محمد بن سلامة أبي جعفر الطحاوي (توفي 321هـ 933م)، مشكل الآثار، بيروت، دار الكتب العلمية، (1995م ط 1)، مجلد 2-ج 4-ص 202 .

63- ابن القيم- زاد المعاد - ص 556.

64- ابن كثير - البداية والنهاية ج 6، ص 290.

65- أبو داود - السنن - ك العتق- باب في بيع المكاتب -ح رقم 3931- قال الشيخ الألباني: حسن.

66- البخاري - الصحيح - ك التفسير-باب سورة النور-ح رقم 4476-

67- ابن حبان- الصحيح-ك العتق- باب الأيمان- ح رقم 4337 - قال شعيب الارناؤوط- إسناده صحيح على شرط البخاري.